تفسير إبن كثير

قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ

فلما قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ، (قال الذي عنده علم من الكتاب) قال ابن عباس : وهو آصف كاتب سليمان . وكذا روى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : أنه آصف بن برخياء ، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم .وقال قتادة : كان مؤمنا من الإنس ، واسمه آصف . وكذا قال أبو صالح ، والضحاك ، وقتادة : إنه كان من الإنس - زاد قتادة : من بني إسرائيل .وقال مجاهد : كان اسمه أسطوم .وقال قتادة - في رواية عنه - : كان اسمه بليخا .وقال زهير بن محمد : هو رجل من الأندلس يقال له : ذو النور .وزعم عبد الله بن لهيعة : أنه الخضر . وهو غريب جدا .وقوله : (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) أي : ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه ، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك .وقال وهب بن منبه : امدد بصرك ، فلا يبلغ مداه حتى آتيك به .فذكروا

أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ، ثم قام فتوضأ ، ودعا االله عز وجل .قال مجاهد : قال : يا ذا الجلال والإكرام . وقال الزهري : قال : يا إلهنا وإله كل شيء ، إلها واحدا ، لا إله إلا أنت ، ائتني بعرشها . قال : فتمثل له بين يديه .قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن إسحاق ، وزهير بن محمد ، وغيرهم : لما دعا االله ، عز وجل ، وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس - وكان في اليمن ، وسليمان عليه السلام ببيت المقدس - غاب السرير ، وغاص في الأرض ، ثم نبع من بين يدي سليمان ، عليه السلام .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه . قال : وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر ، فلما عاين سليمان وملؤه ذلك ، ورآه مستقرا عنده (قال هذا من فضل ربي) أي : هذا من نعم االله علي (ليبلوني) أي : ليختبرني ، (أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) ، كقوله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) [فصلت : 46] ، وكقوله (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) [الروم : 44] .وقوله : (ومن كفر فإن ربي غني كريم) أي : هو غني عن العباد وعبادتهم ، (كريم) أي : كريم في نفسه ، وإن لم يعبده أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد ،

وهذا كما قال موسى : (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن االله لغني حميد) [إبراهيم : 8] .وفي صحيح مسلم : " يقول االله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئا . يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم [ثم أوفيكم إياها] فمن وجد خيرا فليحمد االله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " .